مقياس: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع. السنة 3.

ملخص محاضرة: مجتمع في الشارع(Outsiders) : هوارد سول بيكر(1963).

لقد مثل هوارد بيكر تيار علماء علم الاجتماع المقتنع والمدافع عن البراديغم التفاعلي الرمزي. من أجل ذلك أمضى وقتا من نشاطاته مناهضا للفكر الوظيفي السائد في أمريكا وغيرها القائل بأن الانحراف هو نتاج العوامل الاجتماعية الوازنة على كاهل الأفراد. وغني عن التذكير بأن التيار الوظيفي يرى المجتمعات هي الفاعلة دائما والأفراد هم منفعلون. إن نظرية بيكر في الوسم والانحراف قد ارتقت إلى النظرية الرئيسة في سياق التفاعلية العامة حول الجريمة والانحراف.

في كتابه الأكثر شهرة (مجتمع في الشارع 1963)، قد درس واعتبر ظاهرة الانحراف على أنها نتيجة للتفاعلات الجارية في المجتمع. في هذا السياق جاءت عبارة شهيرة له مفادها:" ليست أفعال الفرد في ذاتها هي ما يصنف صاحبها ضمن المعتدين [المجرمين أو المنحرفين]، بل نظرة الآخرين." أي أن الفعل المجرم لا يكتسب صفته الإجرامية من ذاته موضوعيا وبشكل دائم، ولكن يكون الفعل منحرفا ومجرما بسبب ما يضفيه عليه الآخرون وبصفة مؤقتة. من أجل هذا المعنى يقول بيكر في موضع آخر:" السلوك المنحرف هو سلوك أراد الأفراد وسمه(وصفه) على هذا النحو. إذن الصفة الإجرامية للأفعال ليست أصيلة ولصيقة بها وإنما هي اعتبارية توافقية اجتماعية.

من أجل التمثيل على هذا المنحى نشير إلى دراسته التي أجراها سنة 1950 على عالم موسيقى الجاز ومتعاطيي الماريخوانا. معتمدا على تقنية الملاحظة بالمشاركة، حاول أن يستوضح تمثلات عالم هؤلاء المنحرفين. في نهاية دراسته تلك تأكد بأن الفعل المنحرف ليس منشأه المعتدون فقط، وإنما المجتمع وردة فعله على هذا الانحراف.

إذن في المحصلة، يرى بيكر بأن الفعل المجرم هو نتيجة سيرورة مزدوجة:

1- لابد من أن يحدد الفعل على أنه منحرف ومجرم (كما حدث لظاهرتي المثلية سنة 1950، وتعاطي الماريخوانا)، حيث وُسِم السلوكان بالإجرام بفعل نشاط مؤسسات اجتماعية يطلق عليها" مقاولو الأخلاق". فالفعل ليس مجرما في ذاته.
2- لابد من أن يُوسم الفاعل المُقْتَرِفُ للفعل المنحرف بهذه الصفة أثناء عملية اجتماعية تفاعلية.

يقول بيكر:" الانحراف ليس نتيجة موضوعية لخلل وظيفي، ولكن الانحراف هو صفة تُضْفى على الفرد من قبل جماعة اجتماعية".